

نجوان درويش*

صهيون

في
بالي قصيدة صغيرة عن صهيون
جبلي الصغير
(عاشر الحظّ بين تلال القدس)
الغافي على مخدّة من الدمع
النائم - إلى الأبد - في الندم
وإن حدث ولم أكتبها
يكون "الصهاينة" وقتها قد نجحوا بقتلي.

الوصول إلى كرمة ابن هاني

إلى أحمد شوقي
اليوم سأكون ضيفك
أنت دعوتني منذ عشرين سنة في الكتب المدرسية
وها أنا أصعد الأدراج نحو كرمك.
المصريون حولك متحفاً
ثمّة موظفون بطرابيش
وواحدة تُضربُ على الآلة الكاتبة - ما زالت - منذ عهد الخديوي
وها أنا أدخل متحفك
وبيدي شاكوش.
سأحطم كل ما تقع عليه عيني حتّى أصل إلى قلبك
هناك سألقي المطرقة وأجلس
في أبياتك الجزلة

* شاعر وناقد وصحافي فلسطيني من مواليد القدس ١٩٧٨، صدر أول دواوينه الشعرية "كان يدق الباب الأخير" في سنة ٢٠٠٠.

(وسأفعل ما يحلوا لي في أفياء مطوّلاتك)
 لا أحد بإمكانه أن يمنعني الآن
 قطعاً طريقاً طويلاً حتى أصل
 تربّص بي المستعمرون عند كل مُنْعَطَفٍ
 كلانا يَعْرِفُ الآخرَ
 كلُ القِصَّةِ
 أنتَ دعوتني وأنا وصلت.

لم يعد عندنا ما نضيّعه

دعي رأسك على صدري واسمعي
 طبقات الخرائب وراء "المدرسة الصلاحية"
 اسمعي البيوت المبقورة في "لِفْتَا"
 اسمعي المطحنة المهدومة ودرس القراءة
 في الطابق الأرضي من المسجد
 اسمعي أضواء الشرفات
 تُطفأ لآخر مرّةٍ
 في أعالي "وادي الصليب"
 اسمعي الحشود تجرُّ أقدامها
 اسمعيها وهي تَرَجُّعُ
 اسمعي الأجساد تُرمى
 وتتنفّسُ في قاع طبريةٍ
 اسمعي كأنك سمكةٌ في بركةٍ
 يحرسها ملاك
 اسمعي سيرَ الفلاحين "مُهَدَّبَةٌ" مثل الكوفيات في القصائد
 شكوى المغنيات حين يهرمن ولا تهرم أصواتهن
 اسمعي
 خطى النصراويات يقطعن المَرَجَ
 واسمعي "الجَمَال" لا يكفُّ عن تعديبي
 اسمعي اسمعي
 ودعينا نتذكّرُ سويةً
 ثم ننسى كل ما سمعت.

دعي صدرك على رأسي
 أسمعُ التراب
 أسمعُ العشب يشقُّ التراب...
 ضَيِّعْنَا فِي الْحُبِّ رَأْسَيْنَا
 ولم يعد عندنا ما نضيِّعه.

حتى في الحرب

خطر لي أن أنظر لقسمي الأسفل حيث الوجع
 ولكن للحظةٍ ردعتُ نفسي خشيةً ألا أجد جزءاً من جسدي
 واصلتُ هبوط الأدرج ومعني الجزء المفقود من جسدي
 وها أنا أدخل السرير بجسدي الناقص (أيضاً دون أن أنظر)
 ولا يهم الآن أين وقعت الخسارة
 ولا يجدي أن أتذكّر كيف وأين أصبتُ
 حتّى في الحرب كنتُ عابراً.

كأس سعيد تقي الدين

إِنْ حَدَثَ وَوَصَلْتُ
 إِنْ حَدَثَ وَلَمْ أُقْتَلْ وَلَمْ أُغْرَقْ
 سأجدها هناك
 "بعقلين"
 كما تركتها...
 كلّ بيتٍ هناك هو بيتك
 كلّ رجلٍ وكلّ امرأةٍ في الطريق هم أنت
 ويا رب لا أصدّق
 هذه المكتبة الضخمة أنت أيضاً مَنْ كَتَبَهَا
 إِنْ حَدَثَ وَلَمْ أُقْتَلْ
 إِنْ حَدَثَ وَلَمْ أُغْرَقْ
 إِنْ حَدَثَ وَلَمْ أَصَلْ

*

هذه المائدة كبيرةٌ عليّ
 لسْتُ شديداً لأتلقى انهمار النعم دون أن يرف لي جفن
 يا عم
 أنا بكلّيتي أرتعش.

*

أضحوكه هو الموت
 ونحن نُفطِرُ في مطبخي الأضيّق من المجد
 وطاولتنا بالكاد تتّسع للصّحون..
 ماذا كتب الروسُ عليها حين كانت صندوقاً يسافر في البحر قبل أن تصل حيفا وتحطّ في
 مطبخي؟

أضحوكه هو الموت
 وأنا أراك تصعد شارع الجبل
 أضحوكه هو الموت
 وأنت تشكو من الدّرج وأنا أبحث لك عن المقعد الأريح
 أضحوكه هو الموت
 ونحن نضحك أحياناً
 وأحياناً نموت.
 أضحوكه
 ولا أعرف من أين تفرُّ هذه الدموع
 أضحوكه
 ولا أعرف لِمَ يضحك هؤلاء ولا أضحك.
 أضحوكه هو الموت وأنا أتناول هذه الكأس من يدك...

سأحاول أن أضحك يا عم
 سأحاول أن أضحك. ■